فن الكتابة لمسرح الطفل

أكرم أبو الراغب
الأردن - اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين

تمهيد :

ان الاهتمام بالطفل أصبح اهتماماً عاماً تعترف به جميع الأوساط الثقافية ويدعو إليه الكثير من المثقفين، ومع ذلك فإننا لم نجد سوى قلة من أدبائنا الكبار، على امتداد وطننا العربي الكبير من يهتم بالكتابة للأطفال، مع أن كثيراً من كبار الأدباء العالميين قد قدم للأطفال العديد من القصص والحكايات، وأظن أن (تولستوي) مثال لهؤلاء الأدباء، وفيما عدا محاولات (توفيق الحكيم) المتأخرة جداً والمكتوبة للأطفال فوق الثامنة من العمر، لا نجد شيئاً من هذه الألوان الأدبية سوى القليل.

أن الأطفال ليسوا في حاجة إلى أدب يكتبه لهم كبار الأدباء فحسب، بل أنهم في حاجة إلى مسرح للطفل، فالمسرح هو الحل الوحيد لإخراج الطفل من الانكماش ساعات طويلة أمام الفيديو والتلفزيون والكمبيوتر وغيره من الأجهزة الحديثة، كما أن الطفل بحاجة إلى من يعطيه الاهتمام فيشركه في أداء بعض الأعمال البسيطة التي يمكن أن تساعده على أن يكون إيجابياً وفعالاً، ولا شك أن الاهتمام بالطفل لا يعني دائماً دفع الكثير من المال في سبيل إنشاء مراكز رعاية فاخرة، ولكنه يعني أولاً وقبل كل شيء بذل الجهد الذهني الكبير لفهم سلوك الطفل وعقليته وتقديم أفضل الخدمات وأنسبها عقلية وترفيهية وتربوية ورياضية، فالطفل هو المستقبل الذي نضعه بأيدينا في اللحظة الراهنة.

الكتابة لمسرح الطفل

المسرح من أقدم الفنون التي مارسها الإنسان، لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لمسرح الطفل، لقد كان الأطفال يقرأون كتب الكبار، ويأخذون منها ما يقدرون على فهمه، مثل ما كان يأخذون من كتب ألف ليلة وليلة، والسيرة الهلالية، وكليلة ودمنة ومثيلاتها، فقد كان الصغار منذ اليونان القديمة، يشاهدون مسرحيات الكبار ويأخذون منها ما يقدرون على فهمه.

ولكن منذ نهاية القرن الثامن عشر، بدأ الاهتمام بمسرح للأطفال يكتب لهم الكُتّاب نصوصاً خاصة، وتخصص لهم قاعات عرض خاصة، تعمل فيها بصفة دائمة أو متقطعة فرق خاصة.

ومنذ تلك الفترة، والاهتمام يتزايد في كل أنحاء العالم بالمسرح الذي يقدم للأطفال، وقد أثبتت التجارب في كافة البلاد التي قدمت مسرحاً للأطفال، أن المسرح النموذجي لهم وهو المسرح الذي يقدمه الكبار المحترفون للصغار، ومنذ كتب أرسطو كتابه (فن الشعر) والعالم يتدارس قواعد وأساليب كتابه لمسرح للكبار، ولكن الاهتمام بوضع الدراسات حول فن الكتابة لمسرح الأطفال، لم يبدأ إلا منذ عشرات السنين الأخيرة فقط.

وسأحاول في الصفحات التالية، أن أركز على الأهداف والخصائص التي يتميز به فن الكتابة لمسرح الأطفال، بغير أن أخوض في العناصر المشتركة بين فن الكتابة للمسرح بوجه عام، وبين فن الكتابة لمسرح الطفل، فمن يكتب لمسرح الطفل، لا بد أن يكون على دراية واسعة وفهم عميق، وتذوق وحب لفن المسرح بوجه خاص، فكل الذين يعملون في مختلف مجالات ثقافة الطفل، لا بد أن تتوافر لديهم المعرفة العميقة الشاملة المتذوقة لنوع الوسيلة التي يتعاملون بها مع الأطفال، وإلا تعذر أن يقدموا للأطفال شيئاً له قيمة باقية.

أهداف مسرح الطفل

تتنوع وتتمدد الأهداف التي يمكن أن يحققها مسرح الأطفال، بقدر تنوع وتمدد أهدافنا التي نرمي إلى تحقيقها ونحن نربي أطفالنا.

وسأتناول فيما يلي بعضاً من أبرز الأهداف التي يمكن أن يحققها الكاتب من خلال مسرحياته التي يقدمها للأطفال.

(١) عندما تتناول الدراما مواقف مباشرة في حياتنا اليومية، فأنها توسع مفهوم الشخصيات ومدلول المواقف وتبرز قيم التصرفات والأعمال، وبذلك تعمق القدرة على الفهم وتزيد من الإحساس، فتعاون الطفل على أن يتزن عاطفياً، وعلى أن يتقبل التعليم بسهولة، وأن يتعامل مع مجتمعه بنجاح.

(٢) كما أن الطفل المشاهد، عندما يتمثل بأحد أشخاص المسرحية التي يشاهدها، فإن هذا يساعده على التخلص من الانشغال بنفسه، وبذلك تتحرر شخصيته من الكبت والضغوط، ومن التمركز حول الذات.

(٣) أن المسرحيات الجيدة تثير عواطف كثيرة لدى الأطفال، كالإعجاب والخوف والشفقة، فإذا أثيرت هذه العواطف بأسلوب سليم، فأنها تنمي في الطفل الأحاسيس الطيبة والإدراك السليم، أما إذا أثيرت عواطف الأطفال بطريقة رخيصة، أو بصورة مبتذلة فإن هذا يسبب ضرراً بالغاً ومدمراً (كأن نجعل من سلوك الأطفال الطبيعي مصدر للسخرية أو التحقير) لكن لا يكفي أن يتعرض الطفل للتأثير المباشر السريع أو لمجرد رد الفعل العاطفي المؤقت، بل يجب أن يؤدي هذا التأثير العاطفي إلى دعوة الطفل إلى التفكير، وإلى المقارنة، وإلى ألقاء الأسئلة واتخاذ المواقف.

(٤) يقدم المسرح للأطفال وجهات نظر جديدة في الأشياء والأشخاص والمواقف، وهذا يجعلهم على أن يفكروا بمرونة وحرية، أن يفكروا لأنفسهم، وأن يختاروا لأنفسهم، وأن يحسوا بالمسؤولية عن تفكيرهم واختيارهم، وهذه هي الوسيلة لكي يصبح كل طفل عاملاً من عوامل التقدم الحضاري.

(٥) يشبع المسرح رغبة الأطفال في المعرفة والبحث، بما يقدمه إليهم من خبرات متنوعة، ومعلومات وأساليب سلوك، كما أنه يساعد على حمل الأطفال على إلقاء الأسئلة والبحث عن المعلومات، وهو ما يؤدي إلى إدراكهم لسر العالم الذي يحيط بهم.

(٦) يثير المسرح حيوية الأطفال العقلية، عن طريق إثارة الخيال، فالخيال ضرورة من ضروريات الإبداع، وكل الأعمال الكبرى في التاريخ وكل النظريات التي غيرت مسار العلم، كانت نتيجة للخيال الواسع، والطفل الذي نثير خياله، هو طفل يمكن إثارة اهتمامه بكل ما هو صائب وبناء ومفيد، لكن إذا كان الخيال هو أحد العناصر الهامة في العمل المسرحي الخلاق، فلا يجب أن ننسى أن مضمون العمل يجب أن يأتي في المرتبة الأولى من الأهمية، إننا لا نثير الخيال كهدف في حد ذاته، بل كوسيلة لإثارة طلقات الأطفال الخلاقة.

(٧) يمكن عن طريق المسرح أن نؤكد ما هو مطلوب من قيم دينية وخلقية واجتماعية وسلوكية. وأن - الشعور بالمسؤولية - وذلك حتى نساعد الطفل على التمييز السليم بين الخطأ والصواب، وعلى اتباع السلوك الذي يتوافق مع قيم المجتمع الذي يعيش فيه، مع إعطائه القدرة على أن يتحكم في أفكاره وأفعاله، وأن تعمق في روحه الإحساس الديني، ونربي ضميره على سرعة الاستجابة لما هو خير وصواب.

أن علينا أن نقدم المسرحيات التي يدور موضوعها بوجه عام حول ما نريده أن ننميه في أطفالنا من قيم واتجهات، بشرط أن يجيء هذا في ثنايا المسرحية، ولا يجيء بطريق مباشر.

أن على الكاتب المسرحي للأطفال أن يتجنب قلب مسرحيته إلى درس في الوعظ

والإرشاد، بل يجب أن يهتم كثيراً بالجانب الفني الذي يتولى بدوره نقل مختلف المعاني والقيم للأطفال، بحيث يدرك المشاهد الصغير المضمون بغير تصريح.

أن كثيراً من مؤلفي مسرحيات الأطفال يكتبون نصوصاً هي مجرد صياغة للنصائح والمعلومات في شكل حوار، وهم بهذا يفشلون، سواء في تقديم المسرح أو في تقديم النصائح والمعلومات، ذلك أنه لا بد من تقديم المضمون الجيد بأفضل الطرق الفنية، ولا قيمة لمضمون جيد يفشل في أن يصل إلى عقول وقلوب الأطفال بسبب عدم مراعاة العناصر الفنية المختلفة، من حبكة مسرحية، ورسم واضح للشخصيات وصراع يتضمن قدراً كافياً من التشويق، وحوار ينبع من الشخصيات ويجسم الصراع، ويتقدم بالموضوع خطوة بعد أخرى حتى يصل بالموضوع إلى ذروته، وروح فكاهية تنسجم مع طبيعة الأطفال المرحة، وتحببهم في العمل المعروض.

(٨) كذلك يمكن أن يكون مسرح الطفل وسيلة لإثارة اهتمام الأطفال بالعلوم، ولتقديم مختلفة المواد المدرسية والتعليمية في أسلوب مشوق يتقبله الطفل بسهولة ولا ينساه بسهولة، خاصة فيما يتعلق بالأحداث التاريخية الكبرى، وبالمواقف المهمة في حياة العلماء والمخترعين والأبطال القوميين.

(٩) وعن طريق المسرح يمكن أن نقدم للطفل أغنى مادة في الأدب والموسيقى وفنون الحركة والتشكيل، أن النص المسرحي الجيد والذي يمكن إعداده من أفضل الأعمال الأدبية، واشتراك الرقص والباليه والموسيقى والديكور في تقديم العمل المسرحي للأطفال، هي من أهم وسائل صقل تذوق الأطفال للفنون، كما أن مسرح الأطفال هو المدخل الطبيعي لكي يتذوق الأطفال - عندما يبلغون مبلغ الكبار - مختلف صور الفنون المسرحية سواء اعتمدت على الكلمة أو الحركة أو الموسيقى.

خصائص مسرحيات الطفل

أن جوهر فن المسرح لا يختلف من عمل مسرحي إلى آخر، سواء كانت المسرحيات مقدمة للكبار أو للصغار.

أن القاعدة النقدية العامة التي تؤيد كل عمل مسرحي جيد وناجح، هي نفس القاعدة، لا تتغير مهما تغير الزمان أو المكان أو الأسلوب، وهي قاعدة تتلخص في أن : (العمل المسرحي الناجح، هو الذي يشد انتباه المتفرج طوال تواجده لمتابعة العرض المسرحي، ثم يظل عالقاً بذهنه وعقله

وخياله بعد مغادرته المكان المخصص للعرض).

ولكن بسبب الخصائص النفسية لمرحلة الطفولة وبمراعاة مراحل النمو المختلفة والقدرات التي في طور الاكتمال بالنسبة للأطفال، فأن هناك بعض الخصائص التي يجب مراعاتها عند كتابة مسرحيات الأطفال.

(١) أن تكون المسرحية مناسبة لسن الأطفال، فليست كل الموضوعات مناسبة لكافة الأعمار.

أ - فقبل سن الخامسة، لا يحتاج صغار الأطفال إلى مسرح، إذ أن في لعبهم الإيهامي أو التخيلي ما يكفيهم، ومن الصعب أن يشد المسرح انتباه الأطفال في هذه السن، وإن كان من الممكن أن تثير اهتمامهم العروض التي تعتمد على الحركة وحدها، مثل مسرح العرائس - الدمى - إذا كانت قصيرة لا تزيد مدتها عن ٢٠ أو ٢٥ دقيقة.

ب - ومن سن الخامسة إلى الثامنة، وهي سن الخيال، يجد الأطفال في القصص الخرافية والقصص التي تدور حول الحيوانات مادة خلابة، فالمرآة السحرية، والأقزام السبعة، ومصباح علاء الدين وسندريلا، كل هذه مادة تأسر الأطفال في هذه السن.

ج - ومن سن الثامنة إلى الثانية عشر، وهي مرحلة البحث عن البطولة، يزداد اهتمام الأولاد بالمسرحيات التي تتضمن عنصر الغموض والبطولة، فيثير حماسهم الأبطال الذين يقومون بأعمال جريئة أو يواجهون الأخطار أو يتجنبونها في أحرج اللحظات، ويسعدون بانتصار البطل وهو ينزل العقاب بالشرير، هذا بينما تفضل البنات في هذه السن، المسرحيات التي تدور حول العواطف الأسرية والفنية، والتي تدور حول بطلة تحقق ما يحققه الأبطال، وتستطيع التغلب على العقبات مع الاكتفاء بقليل من المواقف المثيرة.

د - وفي السن بعد الثانية عشر إلى السادسة عشر، وهي سن الرومانسية، يفضل الأطفال أن تمتزج المؤامرة بالعواطف، ويزيد التأكد على القيم المثالية، وتنجح مع جمهور هذه السن المسرحيات التي تدور حول النجاح في المشروعات والوصول إلى القيادة والزعامة.

ورغم هذا التقسيم لنوعيات المسرحيات حتى تتفق مع مراحل العمر المختلفة، فقد لوحظ أنه من الصعب بالنسبة لمسرح أطفال ناشيء أن يقدم نوعيات مختلفة من المسرحيات التي تناسب أعمار متباينة، لذلك تلجأ مسارح الأطفال الناشئة إلى تقديم المسرحيات التي تناسب مختلف الأعمار، مثل قصص - سندريلا، علاء الدين والمصباح السحري، أو علي بابا والأربعين حرامي -.

(٢) أن تكون المسرحية مناسبة الطول، فكلما صغر سن الطفل، كلما كان الملل أسرع في

التسلسل إلى نفسه، وكلما قلت قدرته على التركيز في أمر واحد فترة طويلة.

فمن خلال تجربتي على مدار خمسة وعشرين سنة، ثبت أن الطول المناسب لمسرحيات الأطفال يتراوح ما بين ٤٥ دقيقة و٦٠ دقيقة تبعاً لتقدم عمر الأطفال، ويمكن تقديم مسرحيات الأطفال دون توقف بين المشاهد أو الفصول، ومن الممكن أن يكون هناك توقف لمرة واحدة ولفترة قصيرة جداً أثناء العرض المسرحي، وذلك حتى لا يفقد الأطفال قدرتهم على متابعة الموضوع المعروض.

(٣) يجب تجنب المسرحيات التي تدور حول حكايات معقدة، أو التي تضم شخصيات كثيرة العدد، أو بها عقدة ثانوية إلى جانب العقدة الرئيسية، أو التي تنتقل مشاهدها في الزمان أو المكان، مثل العودة إلى الماضي، ذلك لأن مثل هذه المسرحيات تصيب الأطفال بالحيرة والارتباك أثناء تتبعهم للأحداث.

(٤) الشخصيات، فيجب الاقتصار على مسرحيات الأطفال على عدد قليل من الشخصيات، وأن تكون كل منهما متميزة عن الشخصيات الأخرى بخصائص بارزة يكشف مظهرها عن مخبرها حتى لا يخلط الأطفال المشاهدون بينها، وأن تكون خطوطها من الوضوح بحيث يسهل على الأطفال إدراك حقيقتها، ومن المستحسن التركيز في مسرحيات الأطفال على شخصية أساسية واحدة، تسيطر على المسرحية حتى يسهل على الأطفال متابعتها واستيعاب موضوعها، وأن الشخصية في مسرح الأطفال إذا كانت على جانب كبير من التميز والتفرد، فأنها يمكن أن تعوض كثيراً من الضعف في العقدة أو في الحكاية التي تدور حولها المسرحية.

والأطفال لا يفرقون كثيراً بين المسرحيات التي تشتمل شخوصها على أطفال، وبين المسرحيات التي تخلو من الأطفال، فمن خلال تجربتي الفعلية، فقد نجحت مسرحيات - الغريب والأميرة وليالي شهرزاد وغابة الفرح والمرح والماء نعمة السماء ومرزوق والمصباح السحري - وغيرها، نجحت نجاحاً ساحقاً عندما قدمتها على مسارح مختلفة في عمان وغيرها من المدن والمحافظات، رغم أنه ليس بين شخوصها أطفال.

وإذا كان من المهم في مسرحيات الكبار أن يتعرف المتفرج منذ بداية العرض على أبطال المسرحية وعلى مكان وزمان وقوعها، فإن هذا أمر أكثر أهمية بالنسبة لجمهور المشاهدين من الأطفال، فلا يجب أن نترك المشاهدين يتساءلون ولو للحظة واحدة عن حقيقة أحد الشخصيات أو عن مكان وزمان وقوع أي حدث من أحداث المسرحية، وإلا فأن مثل هذا التساؤل قد يتسبب في ارتباك الأطفال ويصرفهم عن متابعة العرض المسرحي.

(٥) تجنب وجود عقدة ثانوية أو أحداث جانبية، إذ لا يجب أن تتضمن مسرحيات الأطفال عقدة ثانوية بجوار العقدة الرئيسية، وإلا اختلط الأمر على الأطفال، وفقدوا القدرة على التمييز بين العقدتين، كذلك لا يجب أن يمضي مؤلف مسرحيات الأطفال مع أي حدث ثانوي حتى إذا كان مسلياً أو مبهراً، وذلك لكي لا يفقد المشاهدون تتبعهم لسير الحدث الرئيسي، ومثل ذلك، مثل الحفل الذي ذهبت إليه سندريلا تلبية لدعوة الأمير، فلا يجب أن تشغلنا مشاهد الحفل وما به من عروض استعراضية عن موضوع المسرحية الرئيسي.

(٦) التتابع الزمني والمكاني، فيجب أن تراعي مسرحيات الأطفال التتابع الطبيعي للأحداث، فتتجنب أسلوب العودة إلى الماضي، ولا تلجأ إلى التنقل السريع في الزمان والمكان، وذلك كمراعة لقدرة الأطفال على الاستيعاب، ذلك أن الطفل إذا فاته شيء في المسرحية، سيتعذر عليه استنتاج ما فاته، ويصعب عليه بالتالي العودة إلى متابعة العرض المسرحي.

(٧) الاهتمام بالحكاية، أن الحكاية المحبوكة البسيطة الواضحة المشوقة، هي السبب الرئيسي في إقبال الأطفال على عرض مسرحي بذاته، وأن الأطفال يسألون دائماً، وماذا بعد..؟ وطالما هناك إجابة مستمرة مقنعة بالنسبة لسن وخبرة وخيال الأطفال، فيستمر اهتمامهم بمتابعة المسرحية.

لقد نشأ المسرح منذ آلاف السنين وبقي حتى الآن، لأنه يرتبط بميل طبيعي لدى الإنسانية جمعاء، ألا وهو الشغف بالحكايات، وإذا كانت مسرحيات كثيرة للكبار قد أخذت تبتعد عن الاعتماد على الحكاية، فأن مؤلف مسرحيات الأطفال يجب أن يلتزم تماماً بأن يستفيد من ظاهرة حب الأطفال للحكايات مهما كان الموضوع التي تدور حوله مسرحيته.

أن خير وسيلة لكي نقدم للأطفال مختلف الموضوعات حتى المواد العلمية والجغرافية والتاريخية، هو أن نسوقها إليهم في قالب قصصي، وهو ما يجب ألا ينساه أبداً كاتب مسرحيات الأطفال، ولكن إذا كنا نتطلب البساطة والوضوح، فإن هذا لا يعني البساطة في الأفكار، فكم من الأفكار الرفيعة يمكن التعبير عنها في أشكال بسيطة، أن كبار المفكرين يتميزون بقدرتهم على أن يعبروا عن آرائهم في أشكال بسيطة، وبطريقة سهلة وواضحة.

(٨) البداية المشوقة والخاتمة العادلة :

أ - البداية المشوقة، يحب الأطفال الدخول في موضوع المسرحية على الفور، والطفل منهمك دائماً في اللحظة الراهنة، وهو يدخل المسرح وكله شوق للمتعة والإثارة، فيصبح على غير

استعداد للانتظار بعد رفع الستارة حتى تبدأ الأحداث الحقيقية للمسرحية، بل هو يريد منذ اللحظة الأولى أن يعيش مع أحداث مسرحية مشوقة ممتعة من غير أن نطلب منه أن يرى ويسمع أشياء وأن ينتظر لشيء تالي سيجىء فيما بعد، لهذا يجب أن تكون أحداث المسرحية مشوقة ممتعة منذ البداية، وإذا كنا في مسرحيات الكبار نخصص الجانب الأول من العرض المسرحي لكي نقدم للمتفرج المعلومات الأساسية عن الشخصيات والمكان، وما وقع من أحداث قبل بدء المسرحية، فأن الطفل إذا لم يستوعب موضوع المسرحية منذ اللحظات الأولى بعد رفع الستارة، فسرعان ما يتسرب إليه الملل ولن يجدي أن نطلب منه الانتظار حتى يتعرف على الشخصيات أو المكان أو الزمان.

ولكن لما كان هذا التعرف ضرورياً، فلا بد أن يتم من خلال سير أحداث المسرحية وخاصة من خلال الحوار المسرحي الناجح.

أن الحوار يجب أن يكشف لنا عن شخصيات، وكل كلمة تقولها الشخصية يجب أن تكون ثمرة لمقوماتها الجسمانية والاجتماعية والنفسية، فنعرف منه حقيقة الشخصية، كما أن المعاني والألفاظ التي يعبر بها كل شخص في المسرحية عن نفسه، يجب أن تتفق مع ثقافته ووضعه الاجتماعي وسنه ومهنته وغير ذلك، كما تقدم للمتفرج كل المعلومات الضرورية التي تيسر لهم متابعة الموضوع المعروض.

ب - الخاتمة العادلة، فكما يحب الأطفال الدخول في المسرحية فوراً ومنذ لحظات العرض الأولى، فأنهم لن يهتموا بالبقاء في المسرح بعد وصول الأحداث إلى ذروتها، وحل العقدة،.

شاهدت في مصر عرض من عروض مسرحية سندريلا، كان الأطفال يتابعون العرض بشغف شديد، إلى أن يتعرف الأمير على سندريلا بعد أن يلائم الحذاء قدمها، فبعد هذه اللحظة من لحظات العرض المسرحي، كان من الصعب السيطرة على جمهور الأطفال، رغم تضمن العرض أغنية ورقصة إيقاعية بعد ذلك الموقف، وهي ظاهرة تؤكد أنه لا محل في مسرحيات الأطفال لأي مناقشة أو تعليق أو استطراد بعد حل العقدة ووصول الأحداث إلى ذروتها.

فيجب أن تكون الخاتمة واضحة ومحددة وشاملة بالنسبة لأحداث المسرحية وكافة شخصياتها، وذلك حتى لا تترك الأطفال في حيرة عند نهاية المسرحية بشأن مصير أي شخصية من شخصياتها أو حدث من أحداثها.

كذلك يجب أن تنتهي المسرحية بنهاية عادلة، فلدى الأطفال إحساس قوي بالعدالة، وهم يرتاحون إلى المسرحية التي يتم فيها توزيع الثواب والعقاب على من يستحقون أيهما، وقد يثار التساؤل عما إذا كان في مثل هذه النهايات العادلة تجاهل لما يقع كثيراً في الحياة من ظلم، لكن يجب أن نذكر في هذا الصدد أن الطفل في حاجة إلى أن تزداد ثقته بالعالم المحيط به، حتى لا يصاب بالإحباط نتيجة ما يحفل به المجتمع من ظلم.

كذلك يحتاج الطفل أن يعرف في سنوات عمره الأولى المقاييس الصحيحة للعدالة، فإذا وضعنا أمام الطفل وهو لا يزال في بداية طريق الحياة موقفاً يكون فيه الخزي والعار والهزيمة جزاء فعل الخير، فيلتبس الأمر على الطفل، ولن يكون على استعداد لتقبل هذا الظلم.

ولكن هذا لا يمنع من أن ننمي داخل الطفل الإرادة والشجاعة التي تمكنه من خوض مواقف صعبة حتى نعده لمواجهة ما قد يقابله في الحياة من ظلم وإجحاف.

(٩) روح الفكاهة، إذ أنه من المهم جداً أن يحتفظ المؤلف المسرحي بروح الفكاهة وهو يقدم موضوعه وشخصياته للأطفال، فهذا سبب من أهم أسباب إقبال الأطفال على العرض المسرحي.

أن الأطفال يقفون موقفاً مرحاً من الحياة، أنهم يواجهون الحياة بسعادة وإيجابية، وبقدر إقبالهم على الجانب المرح مما يعرض أمامهم، بقدر انصرافهم عن المواقف العنيفة أو المؤلمة والقاسية، لذلك لا بد أن يحتوي العرض المسرحي الناجح للأطفال على قدرٍ كافٍ من المرح أو الفكاهة، أو على الأقل بعض المواقف الطريفة.

حتى عند تقديم الشخصيات السيئة أو الشريرة، فيجب أن نقدمها على نحو يجعلنا نسخر منها، بل أن نقدمها بأسلوب يحملنا على كرهها، وهو ما فعلته عندما قدمت شخصية (الجارة) في مسرحية (الأميرة والأقزام السبعة). وشخصية سعدى في مسرحية غابة الفرح والمرح.

أن الكره يتضمن نوعاً من الرهبة والخشية، بينما السخرية تشعرنا بالتخوف، مما يؤكد لدى الطفل أن موقف الشر يزري بالإنسان ولا يسبغ عليه صفة البطولة، بالإضافة إلى ما تتيحه السخرية من إمكانيات فكاهية مرغوبة ومطلوبة.

ويجب الحرص على ألا ينقلب عنصر المرح إلى جعل العمل الفني مجرد مجموعة من

النكات، وإلا انصرف الأطفال عن موضوع العرض المسرحي إلى انتظار ما يثير ضحكهم، أن الفكاهة لا بد أن تجيء عرضاً من خلال الموضوع وألا تكون مقحمة أو مسيطرة عليه.

أن على كاتب المسرح للأطفال أن يضع نفسه موضع المتفرجين على عمله، وأن يسأل نفسه كيف يجعلهم يقتنعون بوجهة نظره، في نفس الوقت الذي يقبلون فيه بشغف على مشاهدة ما يقدم لهم، أن على كاتب المسرح أن يعرف متفرجيه بقدر ما يعرف أبطال مسرحيته.

(١٠) الحوار واللغة ومراعاة مستوى الأطفال اللغوي.

أ - مراحل السن :

فلكل مرحلة من مراحل نمو الأطفال محصول لغوي يستخدمونه في التعبير عن أنفسهم، ولا بد لمؤلف مسرحيات الأطفال أن يكون صاحب خبرة بالقاموس اللغوي الذي يفهمه جمهور الأطفال الذي سيحضرون عروض مسرحيته، وأن يكون عارفاً بالألفاظ المتداولة بينهم وبمدلولاتها كما يفهمونها هم، وأن يستخدم كلما أمكن الكلمات ذات المضمون المادي الملموس أكثر من الكلمات ذات المعنى المعنوي، فيختار من الألفاظ ما يثير المعاني المتعلقة بالبصر والسمع والحركة واللمس والذوق والشم، فكل حواس الأطفال تشارك في التعرف على المعالم المحيطة بهم، قبل أن تبلغ قدرتهم اللغوية أكمل نضجها.

ب - اللغة في مسرح الطفل :

وقد ثار جدل طويل حول اللغة التي نستخدمها في مسرح الطفل، وهل تكون فصحى أوعامية..؟ وهناك شبه اتفاق على أنه بالنسبة للمسرح المدرسي، فأن المسرح يعتبر عنصراً من عملية التدريس ذاتها، لذلك فأن اللغة التي تستخدم فيه يجب أن تكون اللغة الفصيحة البسيطة القريبة من لغة الطفل.

أما بالنسبة لمسرح الأطفال الذي يقدمه الكبار المحترفون، أننا في مسرح الطفل العام، لا نستقبل أطفالاً معينين لهم مستوى ثقافي معين كما هو الحال في المسرح المدرسي، وإنما نقدم مسرحاً لكل طفل أردني أو عربي، في المدينة وفي القرية، لأبناء المثقفين وأبناء الفلاحين، لمن يقرأون ويكتبون، وللأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون، من أجل هذا، كان لا بد لنا من صيغة لغوية تضمن لنا لا مجرد فهم جماهير هؤلاء

الأطفال لمحتوى النص المسرحي فحسب، بل استمتاعهم فيه، وانفعالهم بأحداثه ومراميه وتأثرهم بها، لينعكس كل أولئك سلوكهم في الحياة.

من أجل هذا كله، فأن لغة هذا المسرح يجب أن تكون بصفة عامة هي لغة الحياة اليومية، القائمة على ألفاظ وتراكيب مألوفة في قواميس الأطفال، مع تطعيمها كلما أمكن ذلك بألفاظ وأساليب من الفصحى المبسطة التي يتيسر على الطفل فهمها دون مشقة.

ج - الحوار :

الحوار هو الذي يحمل كل شيء في المسرح، فهو كيان المسرحية المادي، وإذا كان كثيرون من الراشدين يعجبون بالعبارات الغريبة ذات التلميحات اللاذعة أو بالحوار الحافل بالتشبيهات، فأن الصغار ينبغي أن ينالوا قسطاً وافراً من التعليم والخبرة اللغوية حتى يتذقوا ويفهموا هذا اللون من الحوار.

أن مسرحيات الأطفال يجب أن تقدم في حوار طبيعي قصير واضح دقيق، فعبارات الحوار الموجة مع وضوحها من خصائص المسرحيات التي يستمتع بها المتفرجون الصغار، وإذا كان من خصائص الكتابة المسرحية للكبار ضرورة الاقتصاد في استعمال الكلمات وتجنب الثرثرة وحذف كل ما هو واضح ومألوف، وإذا كان الحوار المسرحي الجيد هو المركز المضغوط، وإذا كانت الفعاليات تقدم في المسرح بطريق التلميح، وعن طريق الانفعال الذي يثيره الممثل، وليس مجرد سرد القصص.

فإننا في مسرح الطفل يجب أن نحذر من المغالاة في مراعاة هذه الخصائص، حتى لا يخرج الحوار غامضاً بالنسبة لأذهان غضة لعلها تعتمد في فهم العالم المحيط بها على بصرها أكثر من اعتمادها على سمعها أو يتساوى لديها الاعتماد على الأذن وعلى العين.

(١١) الحركة واستخدام عناصر المسرح الشامل :

يتأثر الأطفال بالحركة والنموذج المجسد أكثر كثيراً من تأثرهم بمواقف الحوار الجامدة، مهما تضمنت الكلمات من نصائح وتوجيهات.

لذلك فأن مسرحيات الأطفال يجب أن تعرض عليهم الأحداث بدلاً من أن تصفها لهم الكلمات، حتى يتمكنوا من متابعة أكبر قدر من الحركة.

وإذا كانت الملاحظة هامة بالنسبة للأطفال في مختلف الأعمار، فأنها ملاحظة أساسية

يجب مراعاتها بكل دقة بالنسبة لما يقدم لصغار الأطفال قبل سن السابعة. كما أنه لما كانت طبيعة الطفل تميل إلى الحركة، ولما كان من السهل على الأطفال أن يحفظوا من الكلام ما كان موزوناً أو مسجوعاً، مع ميلهم الدائم إلى سماع الأغاني وترديدها، والقيام بالحركات الإيقاعية مع نغمات الموسيقى وألحانها، فأنه يحسن أن يتيح المؤلف إمكانية استخدام الحركات الإيقاعية والرقص والأغاني والموسيقى، ضمن ما يقدمه من مسرحيات للأطفال.

(١٢) مشاركة الأطفال المشاهدين في العمل المسرحي :

أن دور المتفرج في المسرح، وخاصة في مسرح الطفل ليس دوراً سلبياً، ومن الخطأ الاعتقاد أن كل دور المتفرج هو الاسترخاء في مقعده ومتابعة العرض.

أن العرض المسرحي لن يتحول إلى تجربة غنية إلا عندما يصبح المتفرجون جزءاً منه، بمعنى أن تتم عملية تبادل بين المتفرج والمسرح، فالاستمتاع بالمسرح إنما يكون بالتفكير فيما يشاهده ويشارك فيه، ولو بكلمات قليلة محسوسة.

لا يجب أن يقدم للطفل مسرحيات في استطاعته أن يتصور نهايتها منذ البداية، بل يجب أن ينمو اهتمام الطفل بالمسرحية من مرحلة إلى مرحلة، بحيث يستثار خيال الطفل وتنمو مشاركته إلى أن يصل إلى خاتمة العمل الدرامي.

ومن واجبنا أن نشجع الطفل وهو جالس في راحة واسترخاء ليشاهد المسرحية على أن يشارك في المسرحية، ولا يوجد عند الطفل أي تعارض بين التعلم والمتعة، وفي استطاعة الطفل أن يحول التعلم إلى متعة، والمتعة إلى تعلم، أن اللعب عمل جدي وهام بالنسبة للطفل، والعمل الجدي يجب أن يصبح متعة للطفل حتى يتقبله.

أن اللعب الحر مهم، ويمكن أن يؤدي في نفس الوقت إلى عمل بناء، أن اشتراك الأطفال في الإجابة على بعض الأسئلة التي يلقيها عليهم الممثلون أو اشتراكهم في النداء على شخصية أو تحذيرها، أو اشتراكهم في أغنية ضمن المسرحية، أو توجيههم الممثل الذي يؤدى جزءاً من العرض بين مقاعد المتفرجين، كل هذا يساعد على جعل الطفل عنصراً إيجابياً فعالاً في العرض المسرحي، ويربط الطفل بالمسرح، ويزيد ثراء التجربة المسرحية.